مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ذي الآلاء والمنن ، وأصلي وأسلم على رسوله وخير خلقه الذي بعثه الله شفاء لكل الشدائد والمحن ، وبعد :

فهذه هي الطبعة الثانية من ذلك الكتاب الطريف ، لشيخ العربية وأديبها الأكبر أبي عثمان الجاحظ .

أقدمه للقارىء الكريم بعد أن نفدت طبعته الأولى منذ مدة ، وعرض علي أن أنظر فيه لتصحيحه وإعادة طبعه أكثر من مرة .

والواقع أن الكتاب قد لاقى قبولاً وتقديراً من جمهرة المثقفين والعلماء ، وتمثل ذلك فيما تلقيت من رسائلهم العديدة الحافلة بالأحاسيس الكريمة والمشاعر الطيبة ، مما يجعلني أنتهز الفرصة لأوجه إليهم التحية عرفاناً بجميلهم وشكراناً لمعروفهم وثنائهم .

ولكن مع ذلك فقد حملت إليّ بعض الرسائل التي تلقيتها أمانيها بأن أعثر على نسخة أخرى من المخطوطة ، تكمل ما اعترى هذه من نقص ، وما شاب ألفاظها من غموض ، مقرة معي بأن الاعتماد على نسخة واحدة في التحقيق كما يقول الأستاذ إبراهيم صالح نقلاً عن شيخ العروبة أحمد زكي باشا : لا يمكن مطلقاً أن يفي بالغاية التي يتطلبها من هذا العصر أهل البراعة والمحبون للتدقيق في طبع أمهات الكتب العربية .

ومن هنا جاءت آمالهم في العثور على نسخة ثانية مخطوطة من الكتاب .
ولكن ماذا يكون الحال لو لم نعثر على هذه النسخة الأخرى لهذا الكتاب أو لغيره من الكتب ذات النسخة الواحدة ؟

قضية يجب أن تطرح على بساط البحث لدى جمهرة المحققين .
ويمكن – وقد وقعت في مثل هذه الحالة – أن أبين رأيي بما يلي فأقول :
أولاً : إن الكتب ذات النسخة الواحدة في تراثنا العربي ليست قليلة العدد ، وإن جزءاً كبيراً منها من كتب القرون الثلاثة الأولى فهي من الأصول التي تتصف بالأهمية البالغة ويجب أن تحظى بالرعاية الكاملة لنشرها .

ثانياً : إن هذه الكتب مما يعثر عليه في زاوية سحيقة بقرى وطننا العربي أو في مكتبة خاصة لدى أحد العلماء، أو منزوياً ضمن مجموعة من المخطوطات يضمها مجلد واحد وقد لا تحمل إلاّ اسم الكتاب الأول .

ثالثاً : إن مثل هذه الكتب لو لم تنشر ، فماذا يكون مصيرها ؟ ويمكن الإجابة على ذلك بأن مصيرها سوف يكون الاندثار إذا ضاعت نسختها الوحيدة هذه كما اندثرت آلاف الكتب من تراثنا الذي نقرأ عنه كثيراً في كتب التراجم منسوباً إلى العلماء ثم لا نعثر عليه في الواقع أبداً .

وعلى هذا فإنني أرى أن توجه عناية خاصة إلى نشر تلك الكتب قبل غيرها مما له أكثر من نسخة .

ولكن يجب على من يتعرض لنشرها أن يتحلى بالصبر ويبذل مزيداً من الجهد في تحقيقها وضبط نصوصها ، فهو لن يعذر قط إلاّ بقدر ما بذل منهما في عمله .

كما يجب أن يتحلى بالأمانة في إثبات النص صحيحاً كان أو معوجاً ،

ولا يحذف منه شيئاً إذا لم يعثر على تخريجه أو لم يهتد إلى تقويم له، فذلك ليس عيباً بل العيب هو الحذف والتشويه .

ثم ليدفع به بعد ذلك إلى القراء ، وسوف يجد من العلماء والباحثين من يعرف عدداً قل أو كثر من المسائل التي لم يهتد إلى حل لها ، فلا رادّ لكلمات الله حيث يقول : « وفوق كل ذي علم عليم » .

ومن ناحيته هو فيجب أن يستمر في القراءة والاطلاع وسوف يجد ضمن ما يقرأ ما يصحح له الكثير مما فاته في تحقيقه الأول .

ولقد حظيت – عندما استقر رأيي على إعادة طبع الكتاب بكلا الأمرين .

فمن ناحية لم أكفّ عن تقييد ما كنت أعثر عليه من نصوص الكتاب في المراجع الأخرى .

كما أن الكتاب قد حظى والحمد لله باهتمام كبير من الأساتذة الأجلاء الذين ظفرت منهم بملاحظاتهم النقدية مباشرة ، أو نُشرت لهم في مجلات أدبية سيارة .

ومن هؤلاء الأساتذة ، مرتبة أسماؤهم حسب الحروف الأبجدية :

١ – الأستاذ إبراهيم صالح (دمشق)

(مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق) .

٢ – الأستاذ الكبير الشيخ حمد الجاسر

(مجلة العرب ، وتصدر في السعودية وبيروت) .

٣ – الدكتور رضوان السيد ، الأستاذ بالجامعة اللبنانية في بيروت (أعطاها لي يداً بيد) .

٤ – الدكتور زهير زاهد ، الأستاذ بكلية الآداب ، بغداد ، (مجلة معهد المخطوطات العربية) .

٥ – الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي (المغرب) (مجلة دعوة الحق) تصدرها وزارة الأوقاف بالمغرب .

٦ – الأستاذ الكبير محمد عبد الغني حسن ، عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة . (مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

٧ – أستاذٌ نوبيٌّ نبيل ، أبى أن يذكر اسمه ولكنه قطع المسافة من أسوان إلى القاهرة وهي أكثر من ألف كيلومتر ، ليذهب إلى المطبعة التي طبعت الكتاب ، ولم يهتد إلى مكانها إلاّ بعد لأي – وليقدم إليها نسخة عليها ملاحظاته ، مع رجاء أن تقدمها إلى المحقق ليفيد منها إن رأى ذلك .

فإلى هؤلاء جميعاً أزجي خالص شكري وتقديري واعترافي بالجميل .

وأود أن أقول : إنه نتيجة جهودهم التي تطوعوا بها تفضلاً لخدمة العلم ، ونتيجة جهدي الواجب عليّ أن أبذله تجمع قدر كبير من الملاحظات الطيبة والقراءات المفيدة التي يجب تقويم النص بها ، إذ هي تتقدم به خطوات إلى الأمام ، وقد فعلت .

هذا وقد كان في النص ، كثير من أخطاء الضبط بالشكل نتيجة لعدم مجيء الحركات فوق الحروف المطلوبة تماماً . وقد أصلحت ذلك كله أيضاً .

وهأنذا أقدم كتاب الجاحظ الفريد للقارىء الكريم ، آملاً أن يجد عملي من القبول ، ما وَجَدَتْه مَرْيَمَ من ربها حين قدمتها إليه أمها ، فقال جلّ وعلا : (فتقبَّلها ربُّها بِقَبُول حسن) . وهو سبحانه نعم المولى ، ونعم النصير .

القاهرة في غرة رجب ١٤٠٠ هـ
الموافق ١٩٨٠/٥/١٥ م

محمد مرسي الخولي
معهد المخطوطات - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
جامعة الدول العربية